

القدمية سبيل اتصالنا بماضينا

بين الذين يقاومون كل محاولة للتحرر والتقدم في هذه البلاد من لا يستحقون ان يسموا حتى بالرجعيين، لأن الرجعية التراثية والدينية وان تكن في حقيقتها وفي النتائج التي تؤدي اليها خيانة للامة مزدوجة في ماضيها ومستقبلها معاً، فهي على كل حال ليست بالخيانة الواعية المقصودة، أما الذين يتصدون لتحرر الامة بدافع النفعية والاستغلال، وبتكليف من الدول الاستعمارية، فهؤلاء ليسوا الا دجالين من النوع الرخيص ومتأمرين مثيرين، يستطيع القانون ان يطالهم بسهولة، وليس هؤلاء هم موضوع كلامنا، بل ذلك العدد غير القليل من ابناء البلاد الذين لم يرتفع تفكيرهم الى مستوى نواياهم الحسنة، فهم سيئون من حيث يقصدون الاحسان الى الامة التي يحبونها ويغارون عليها، وهؤلاء وحدهم جديرون بأن يوجه اليهم الكلام والاقناع.

ان غايات المخلصين هي في الجملة دوماً واحدة، فالتقدميون والتراثيون على السواء ينشدون لهذه الامة القوة والرفي والسعادة في ظل مجتمع منتج عادل سليم الاخلاق الا ان الفريقين يختلفان في فهم الوسائل والسبل المؤدية الى تلك الغاية والنظرة التقدمية العميقة الصحيحة التي تتصف بسلامة التفكير وتجرد النفس عن النفع والهوى، وباتصال صادق عميق بروح الامة وتراثها وحاجاتها، وبالغيرة على بقائها واستمرار اجيالها، هذه النظرة التقدمية التي هي حب وايمان، وبناء وابداع، وجهد ومسؤولية، لتخالف بل تناقض كل ما يرمي تحت ستار هذا اللفظ الى التحلل

والانحلال والهدم . والتقدمية بمعناها الصحيح ليست الا استثنافاً لسير الأمة في تاريخها الحي الصاعد قبل ان يتتابها الجمود والانحطاط .

وما التحرر الذي نطلبه الا تحرر من اثقال القيود والرواسب التي تراكمت على صدر الامة خلال تلك الفترة الطويلة التي توقفت فيها عن السير وعن الاتصال بمعين روحها الاصيل . ومما لاشك فيه ان هذه الروح الحرة المبدعة قد هجرتها منذ زمن طويل ، وان استردادها لا يكون في زيادة التعلق بما نحن عليه من تأخر ، بل في بذل جهد كبير خارق نخلق بواسطته شخصيتنا من جديد ، وننمي في نفوسنا بذور الحرية والابداع ، غير معتمدين الا على ما نملكه حق الملك من قدرة على تفهم الحياة وشروطها ، والاستجابة لحاجاتها ، حتى نصل بهذا الجهد الحر المستقل الى درجة من قوة الحيوية وصدق الشعور واستقلال الشخصية تقربنا من مستوى روحنا الاصيله وماضيها الحي ، وعند ذلك ترجع الصلة الضائعة وتبين لنا ان التقدم الذي كان في ظاهره تحرراً من القديم وابتعاداً عنه ، لم يكن في الواقع الا سلوك الطريق الطبيعي الوحيد لعودتنا الى ماضيها وذواتنا .

والماضي الذي نحن اليه والذي كان السبب في قوة العرب وحررتهم ونهضتهم تاريخياً ، هل كان الا تقدمية صريحة جريئة بالنسبة الى ما سبقه من عقلية وأوضاع؟ لذلك قلنا في أول كلامنا عن الرجعية البريئة القصد ، التي تتوهم انها تغار على ذلك الماضي وتحفظ عهده ، انها في حقيقتها خيانة له ولمثله واغراضه .

كل ذلك يظهر واضحاً ومعقولاً اذا نحن فهمنا من الماضي انه كان قوة روحية فحسب ، وان عودة اتصالنا بماضيها لا يجوز ان تعني الا بلوغنا ذلك المستوى الروحي الذي هو وحده كفيل بأن يبني لنا الحياة القوية المبدعة الراقية والمجتمع السليم الأوضاع ، القويم الاخلاق ، وبأن يلهمنا استنباط الوسائل والأشكال الملائمة لعصرنا وشرائط مجتمعنا .

٧ شباط ١٩٥٠